

الشيعية

في نظر الدكتور طه حسين

الطائفة الشيعية هي أهم الطوائف التي كثر حولها الجدل والنقاش ، وتشعبت فيها أقوال الباحثين من شرقيين وغربيين قديماً وحديثاً ، وقد صورها الكاتب الشهير الدكتور طه حسين بأنها حزب معارض لسياسة البني والجور ، لهذه الغاية أنشئت ، وعليها عملت ، ولأجلها اضطهدت ، وهذا ما دعاني إلى أن أنقل للقراء رأي الدكتور في هذه الطائفة .

أخرج الدكتور المجلد الثاني من كتابه الكبير الفتنة الكبرى ، وموضوع هذا المجلد « علي وبنوه » ابتدأه بخلافة الإمام علي ، وختمه بقتل ولده الحسين ، وذكر ما قاله الرسول وأصحاب الرسول في مدح علي ، وأنه كان أهلاً لتلك الفضائل ، ولأن أكثر منها ، وأنه على الرغم من الخطوب والمحن التي تواتت عليه من كل جانب كان يحضي على الحق لا يلوي على شيء . مما تكن العاقبة . أما أخصام الإمام كعائشة ومعاوية وابن العاص وطلحة والزبير وغيرهم فقد عارضوه وخاصموه ليصرفوا الأمر عنه إلى أهوائهم وأغراضهم ، وهذه الحقيقة أثبتها الدكتور بالوقائع والأرقام ، وإليك هذا المثال على أسلوبه في إثبات الحقائق قال . « من الممكن أن يقال : إن معاوية اجتهد للناس فأخطأ أو أصاب ، لكنه قاتل علياً على دم عثمان من جهة ، وعلى أن يرد الخلافة شورى بين المسلمين من جهة أخرى ، فلما استقام له السلطان نسي ما قاتل عليه ، وأعرض عما قاتل عليه » أي بعد أن أصبح معاوية دكتاتوراً لم يتبسم قتلة عثمان ، وجعل الخلافة كسروية وقيصرية ، فنقلها إلى ولده الطاغية يزيد بالقهر عن المسلمين .

بهذا المنطق السليم حاكم الدكتور جميع القضايا التي تعرض لها في كتابه ، أما النتيجة التي انتهى إليها فهي أن الذين حاربوا علياً ، وكادوا له ، وعارضوه فيما كان يراه من حق هم وحدهم السبب لمحنة الإسلام من ذلك العهد حتى آخر يوم ، وهم وحدهم الذين أورثوا المسلمين عناء وخلافاً لم ينتقيا ، ولن ينتقيا إلى أن يشاء الله .

وليس من غرضي التعريف بالكتاب من جميع نواحيه ، ولو أردت ذلك لم أكتف بقال أو مقالين ، لأن الكتاب كبير جداً ، كبير بحجمه ، كبير بمقائمه ، كبير بما يشهده من المشاعر

والأحاسيس؛ كبير بقدرة كاتبه على التعبير كوبراعته في الاداء، وإثما غرضي أن أعرف القارىء برأي الدكتور في الشيعة، وخاصة الشيعة أنفسهم، ليعرفوا انهم بعيدون كل البعد عن عقيدتهم ومبادئهم ولم يخص الدكتور طه فصلا من كتابه للبحث عن الشيعة، وليته فعل، ولكنه أشار إليهم بكلمات متفرقة في صفحات عديدة، لمناسبة ساقه إليها البحث من حيث يريد أو لا يريد، وهي مجموعها تعطينا الصورة التالية :

إن لكلمة الشيعة معنيين الاول : المعنى اللغوي، وهو الفرقة من الأتباع والأنصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج، فشيعة الرجل في اللغة هم أصحابه الذين اتبعوا رأيه، وهذا المعنى هو المقصود من قوله سبحانه « وإن من شيعته لإبراهيم - فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته » والشيعة بهذا المعنى كانوا موجودين في عهد الامام بلا ريب .

الثاني : المعنى الاصطلاحي، وهو هذه الفرقة المتميزة بعقائدها وعوائدها الخاصة، والمعروفة عند الفقهاء والمتكلمين ومؤرخي الفرق، ويقصدونها عندما يطلقون كلمة الشيعة، والشيعة بهذا المعنى لم يكن لهم في عهد الامام عين ولا أثر « وإثما كان للامام في حياته أنصار وأتباع، وكانت كثرة المسلمين كلها أنصاراً له وأتباعاً »

ويعتقد الدكتور ان فرقة الشيعة بالمعنى الاصطلاحي المعروف إثما نشأت وتكونت وأصبحت حزبا سياسيا منظما علمي وبنية بعد أن وقع الصلح بين الحسن ومعاوية، وبعد أن نكث هذا بالهدولم يف بما اشترطه على نفسه، فتألف وفد من أشرف الكوفة برئاسة سليمان بن صرد الحراعي، وكذهبوا إلى المدينة للقاء الحسن، وطلبوا إليه أن يعيد الحرب جدعة، وأن يأذن لهم في ان يسبقوا إلى الكوفة فيعلمنوا فيها خلع معاوية، ويخرجوا منها عامله، فأمرهم الحسن بالكف والانتظار إلى حين، وبهذا الوفد تكونت أول بذرة لفرقة الشيعة « وكان برنامج الحزب في أول إنشائه طاعة الإمام من بني علي، والانتظار في سلم ودعة حتى يؤمروا بالحرب فيثيروها، ومضى رجال الشيعة يسجلون على معاوية وولاته ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل »

وكانت رئاسة الفرقة للحسن، ومن بعده لأخيه الحسين « وكان الحسين كأبيه صارماً في الحق، لا يرى الرفق، ولا الهوادة... وأغرى حزبه بالاشتداد في الحق، والانكار على الامراء الذين أسرفوا في أموال الشعب فأسرف معاوية وولاته في الشدة عليهم؛ حتى تجاوزوا كل حد، وعظم امر الشيعة بسبب الاضطهاد، وانتشرت دعوتهم في شرق الدولة الاسلامية، وفي جنوب بلاد العرب، ومات معاوية حين مات، وكثير من الناس وعامة اهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني امية وحب اهل البيت ديناً » إذن كانت الشيعة في آخر عهد معاوية فرقة متميزة عن غيرها، لها عقيدتها وخصائصها .

وكان الشيعة منذ عهد معاوية إلى عهد العباسيين يثورون على الحكام الذين ساروا في حكمهم على سياسة الارض ومن عليها ملك للسلطان ؛ وإكراه الناس على الخضوع والاعتراف بهذا الملك وتبتيته بالقتل والحبس والتشريد ، ثار الشيعة وعارضوا الحاكم الذي حكم الناس بالغي واستبدل الجور بالعدل والباطل بالحق ، عارضوا الحاكم الجائر ولم يخضعوا لحكمه وجوره ، فأمن فيهم قتلا وتعدياً ، فأمنوا في محاربه غير مسلمين ، ولا مهادين ولا مكترئين بالموت والتعذيب في سبيل الحق ، سخط الشيعة على سياسة الجور ، فقتل من رجالهم من قتل كحجر بن عدي ، والحسين ونسائه وأطفاله واصحابه . ولم يكن نصيب الشيعة من الحكم بأقل من نصيبهم من المؤرخين والمحدثين ، فقد اضاف هؤلاء الى الشيعة اشياء واشياء لا يعرفون شيئاً واحداً منها ، أضافوا إليهم وافترؤا عليهم امعانا في النيل ، وغلوا في الخصومة والبغض ، وارضاء للحكام ، كما يفعل اليوم كثير من ارباب الصحف والمتأدبين مع الوطنيين الأحرار ارضاء للمستعمر واذاقابه الرجعيين والاقطاعيين .

والخلاصة ان الشيعة في نظر الدكتور طه هم فرقة انشئت وتكونت بعد الامام علي بأعوام قليلة ، وانها كانت حزبا معارضا لسياسة الجور ، والاضاع الفاسدة ، وان هذه المعارضة كانت تظهر تارة في قالب الثورة ، وحيناً بإعلان السخط والتشنيع على الحاكم ، وبسبب ذلك نسب الى الشيعة ما ليس لهم به علم ، وقتلوا وعذبوا ، كما قتل علي والحسن والحسين .

واذا كان مذهب التشيع يقوم على اساس الثورة على الظلم والاستبداد ، فهل نحن شيعة حقاً ؟ وهل نحن عليا وبنية اويا ليت اننا آثرنا العافية بالسكوت والانعزال ، ولم نسر في ركاب الظالمين ننشد القصائد الطوال والخطب الرنانة في مديح الاقطاعية والاستعمار .

وبعد فهل نحن شيعة ! اجل ، نحن من ذرية اولئك السلف الذين ذكرهم الدكتور طه حسين واكثر منهم عدداً .

محمد جوالة مقبلة

بيروت

✽ مكم ✽

سأل الإمام أحمد بن حنبل حاتم الأصم : أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس ، فقال له حاتم : تعطيهم مالك ولا تأخذ ما لهم ، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم ، فقال أحمد : انها لصعبة . قال له حاتم ، وليتك تسلم .

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها وكيف انقلب يوماً به انقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا